خطبة صلاة الجمعة 28/ 2/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(أخاف المرض)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ [الجن: 1] قال ابن كثير: يهدي إلى الرشد أي يهدي إلى السداد والنجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾ [الكهف:10] قال المفسرون: معنى قوله هيئ لنا من أمرنا رشدا، يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق. والرَشَد والرُشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من يطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فإنه لا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ الله شيئا**».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة السابعة عشرة في سلسلة **(دليل إرشادي)**، تتناول كل خطبة منها مشكلة اجتماعية أسرية أو مالية أو أخلاقية وقع فيها عددٌ منا وهو مهتم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتقدم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى تعينه على تبصر طرق الحل، وتمكنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالبَ جاهزة تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة؛ لكنها قواعدُ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذْ الاختلاف بين البشر سنة، والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم: **(أخاف المرض)**

المسألة:

كتبتْ تقول: قبل أيام ارتفعت حرارة ابنتي وترافق ذلك مع سعال وسيلان أنفي، أسمع في الأخبار وأقرأ في وسائل التواصل عن الكورونا وغيرها من الفيروسات المسببة للأمراض، وسمعت عمن ماتوا من هذا الفيروس، وأنا أخاف كثيراً من المرض، ومع أن الطبيب أعطاها الدواء وطمأنني، ولكنني لست مطمئنة فماذا أفعل، وهل من دعاء؟ أرشدوني.

الدليل الإرشادي:

في الدليل ثلاث فقرات: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، العلم يقطع الخوف، أدعية المرضِ والوقايةِ منه.

أولاً: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا:

هذا العنوان جزء من الآية الحادية والخمسين في سورة ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51].

قال القشيري في تفسيرها: (المؤمن... ليس يرى إلا مرادَ وليّه، فهو يتحقق أنّ ما يصيبُه مرادُ مولاه فيُسْقِط عن قلبه ما يهواه، ويستقبلُه بروح رضاه فيَعْذُب عنده ما كان يَصْعُب من بلواه، وفي معناه أنشدوا:

إنْ كان سرّكم ما قالَ حاسدُنا فما لجرحٍ - إذا أرضاكم- ألمُ

وإن جريان التقدير يخفف على العبد تعب كلّ عسير).

وقد نزلت هذه الآية مع آيات قبلها في غزوة العسرة تبوك، عندما كان الحر شديداً والسفر بعيداً والعدو عنيداً والزاد قليلاً، وأُشيع بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد جَهَدوا في سفرهم وهلكوا أو كادوا فعلّم اللهُ نبيَه صلى الله عليه وسلم وأصحابَه أن يوقنوا بأن الفعّال هو الله ويقولوا: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51].

وفيها طمأنة للمؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الأمر كله بيد الله يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويُمرِض ويعافي، ويحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

وفي الحديث: «إِنَّ الْعَبْدَ لا يَبْلُغُ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أخطأه لم يكن ليصيبه» [أحمد].

ثم إنّ المسلم علّمه الإسلام أنّ المرض إن وقع بقدر الله فهو يحطّ عنه ذنوبه كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا، وأن ساعات الأمراض يَذهبن بساعات الخطايا، وأنّ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة، و «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ نُودِيَ صَاحِبُ الْيَمِينِ: أَنْ أَجْرِ عَلَى عَبْدِي صَالِحَ مَا كَانَ يَعْمَلُ» [شعب الإيمان] و «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ إِذَا برَأَ وَصَحَّ مِنْ مَرَضِهِ كَمَثَلِ الْبَرَدَةِ تَقَعُ مِنَ السَّمَاءِ فِي صَفَائِهَا وَلَوْنِهَا» [المرض والكفارات لابن أبي الدنيا].

والحاصل أن المرء لا يصاب إلا بما كتبه الله له أو عليه، ومهما يكتبِ الله لعبد مؤمن يكن خيراً.

ثانياً: العلم يقطع الخوف:

هذه نقاط عامة حول ما يسمى اليوم فيروس كورونا استفدتها من تقارير منظمة الصحة العالمية وكتابات بعض الأطباء المتخصصين:

1- فيروس الكورونا معروف منذ سنوات عديدة، وظهر مؤخراً بشكل متطور، وهو يصيب الجهاز التنفسي للثدييات بما في ذلك الإنسان، وأعراضه تتراوح من أعراض الإصابة بالزكام إلى المتلازمة التنفسية الحادة.

2- إنّ نسبة الوفاة بالكورونا قليلة جداً بالنسبة للإصابات، فأكثر المصابين عوفوا من الفايروس.

3- أهم طرق العدوى من شخص مريض لسليم الهواء، وذلك من خلال انتقال الفيروس مع رذاذ السعال أو العطاس أو لمسِ سطح فيه جزيئات الفيروس، ثم لمسِ فمك أو أنفك أو عينيك بدون غسل يديك.

4- ينصح من أجل الوقاية باتباع قواعد النظافة العامة؛ ومن أهمها: غسل اليدين كثيراً بالماء والصابون لمدة عشرين ثانية، واجتنابُ أطعمة الأسواق قدر الإمكان، وتقويةُ المناعة، ومما يفيد فيها تناول الثوم المبشور أو العسل مع الزنجبيل أو الفواكه الطازجة، وتجنبُ العطاس في وجه الناس، فإن غلبك العطاس فليكن بمنديل وارمه مباشرة أو في ثنية مرفقك.

5- ينصح المريض بالاستراحة وتجنب الحضور في الأماكن المزدحمة وتناول الأشربة الدافئة. وشرب كمية كافية من الماء، وتجنب التدخين أو التعرض للتدخين السلبي، وتناول المسكنات الخفيفة كالسيتامول والبروفين لتخفيف الألم والحمى.

ثالثاً: أدعية المرض والوقاية منه:

أخرج البخاري بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعوِّذ الحسن والحسين: «**أُعِيذُكُما بِكَلِماتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ وَهامَّةٍ، وَمِنْ كُلّ عَيْنٍ لامَّةٍ، ويقول: إنَّ أباكُما كان يُعَوِّذُ بِها إسْماعِيلَ وَإسْحاقَ**» صلى الله عليهم أجمعين وسلم.

والهامَّة بتشديد الميم: هي كلّ ذات سمّ كالحيّة وغيرها.

وأخرج البخاري ومسلم بإسنادهما عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُعَوِّذُ بعضَ أهله، يمسَحُ بيده اليمنى ويقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أذْهِبِ البأسَ، اشْفِ أنْتَ الشَّافِي، لا شِفاءَ إلاَّ شِفاؤُكَ شِفاءً لا يغادر سقما**».

وأخرج مسلم بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عافيتك، وَفَجْأةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سُخْطِكَ**».

وأخرج أبو داود والنسائي بإسنادين صحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «**اللهم إني أعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ وَالجُنُونِ والجذام وسيئ الأسْقامِ**».

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: «**أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه جمع كفّيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيها: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أحَدٌ) و (قُلْ أعُوذُ بِرَبّ الفَلَقِ) و (قُلْ أعُوذُ بِرَبّ النَّاس) ثم يمسحُ بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعلُ ذلك ثلاثَ مرّاتٍ، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به**».

وأخرج الإمام مسلم بإسناده عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده في جسده، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**ضَعْ يَدَكَ على الَّذِي تألم مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ ثَلاثاً، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرّ ما أجِدُ وأُحاذِرُ**».

وأخرج أبو داود والترمذي، بالإسناد الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ عادَ مَرِيضاً لَمْ يَحْضُرْ أجَلُهُ، فَقالَ عِنْدَهُ: سَبْعَ مَرَّاتٍ: أسألُ اللَّهَ العَظِيمَ رَبّ العَرْشِ العَظِيمِ أنْ يَشْفِيكَ، إلاَّ عافاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالى مِن ذلِك المَرَضِ**».

وأخرج الإمام مسلم بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن جبريل أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: «**يا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ قال: نَعَمْ، قال: بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كل شئ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرّ كُلِّ نَفْسٍ أو عَيْنٍ حاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّهِ أرْقِيكَ**».

وبعد أيها الإخوة:

نقول للأخت صاحبة المسألة وأشباهها: المرض والصحة والضعف والقوة والفقر والغنى والموت والحياة لا ينزل أحدها إلا بِقَدَر ولا يرفع إلا بقدر، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وما عليكِ إلا أن تتسلحي بالعلم، وتعملي المستطاع في الوقاية من الأمراض وعلاجها، ثم استعيني بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لكِ ولأبنائك فإنها ترياق مجرَّب. والله أعلم.

ختاماً – أيها الإخوة:

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**».

والحمد لله رب العالمين